

## سنان أبو لحوم... وداع للقبيلة في اليمن



هناك يمن جديد يبحث عن صيغة جديدة. من أبرز ما في هذا اليمن الجديد انقراط التركيبة القبلية للمجتمع بحسناتها وسيئاتها. كان الشيخ القبلي الحكم بين الناس. لم يعد في اليمن من يمارس دور الحكم. لا وجود سوى للفراغ، وهو فراغ على كل المستويات يشغله الحوثيون في الشمال والإخوان المسلمون في أماكن أخرى وليس في كل الأماكن بعد...

شخص يدعى رشيد أبو لحوم! ما يبدو جديرا بالملاحظة مع وفاة الشيخ سنان، الذي سيسمح الحوثيون بالإتيان بجثمانه إلى صنعاء ليوارى في أرض اليمن، أن كل ما في البلد تغير. صار على جثمان الشيخ سنان أو "عمي سنان" كما كان يناديه الكبار والصغار، أخذ إذن من عبد الملك الحوثي للعودة إلى صنعاء. قد يكون مثل هذا الإذن الذي احتاج إليه جثمان سنان بمثابة وداع للقبيلة في اليمن...

طريقهم إلى صنعاء صيف العام 2014 استطاع الحوثيون تجييش مقاتلين من كبل وحاشد في هجماتهم على معازل آل الأحمر، زعماء حاشد، في محافظة عمران. بعدما احتلوا صنعاء ابتداء من 21 أيلول - سبتمبر 2014، أشركوا قبليين في مؤسسات السلطة. هناك، على سبيل المثال صادق أبو شوارب، من حاشد، الموجود في ما يسمى المجلس السياسي التابع للحوثيين. أما نائب رئيس الوزراء وزير المال في الحكومة الحوثية فهو

التركيبة القبلية اليمنية، علما أن الشيخ سنان نفسه ساهم في إيصاله إلى الرئاسة خلفا للقاضي عبدالرحمن اليرباني. فضل اليرباني الانكفاء وترك اليمن إثر خلافه مع الشيخ سنان وغيره من الساسة. اعتبر أبو لحوم لاحقا، بعد الصدام المباشر بين القبائل والحمدي، أنه قد يكون الشخص الوحيد الذي "نقذ انقلابا على نفسه"...

بعد اغتيال الحمدي وخليفته أحمد حسين الغشمي، جاء علي عبدالله صالح الذي امتلك طريقته الخاصة في التعااطي مع القبائل. بدل الصدام المباشر، لجأ إلى ربطها بمصالح تجارية وما شابه ذلك... وحتى إلى إفسادها. كان يعرف تماما مدى قابلية القبائل لدخول لعبة الفساد. كان واضحا في مراعاته لشيوخ معينين من قبائل مختلفة وتفصيله الشيخ عبدالله الأحمر على الشيخ سنان وأفراد عائلته تحديدا.

في الطريق الطويل إلى تراجع دور القبائل هناك محطات يمنية كثيرة. من بين المحطات القديمة مجزرة بيحان في شباط - فبراير 1972 التي ارتكبتها الحكم اليساري في الجنوب اليمني. كان أهل النظام في الجنوب يطمحون إلى توحيد البلد ولكن من منطلق ما يؤمنون به انطلاقا من تجربة خاصة بهم. وجه النظام دعوة إلى مجموعة من مشائخ الشمال، خصوصا من قبيلة خولان، التي تضم مقاتلين شرسين. لدى وصول هؤلاء إلى بيحان في محافظة شبوة، نصب للمشاخ مكن. بشكل حقل الغام، قتل فيه 74 قبليا معظمهم من المشائخ. كان من بين أبرز الضحايا الشيخ ناجي الغادر. ما بدأ بمحاولة جنوبية لجعل نظام "جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية" يعم اليمن كله، انتهى بضرب النظام القبلي لمصلحة تقويت اليمن. يحصل ذلك الآن في ظل التجاذب بين طرفين يوجد تحالف ضمني، بل تواطؤ بينهما، من تحت الطاولة أحيانا ومن فوقها في أحيان أخرى. نجح الحوثيون في الشمال بجعل التركيبة القبلية نصب في خدمتهم... من منطلق أيديولوجي. في

بما في ذلك في مجال دور المرأة في المجتمع. كانت شقيقته عزيزة، زوجة محسن العيني، رئيس الوزراء السابق والسفير في واشنطن لفترة طويلة، أول امرأة تقود سيارة في صنعاء.

حتى العام 2010 وطوال ربع قرن، كنت أزور اليمن ثلاث أو أربع مرات، على الأقل، في السنة. تعرّفت إلى عائلات كثيرة وشخصيات من طبقات اجتماعية ومناطق مختلفة، تعرّفت على قبليين وعلى ممثلي العائلات الهاشمية العريقة، مثل آل المتوكل، وعلى تجار من تعز وجوارها وعلى جنوبيين من مشارب مختلفة لعبوا أدوارا سياسية قبل الوحدة وبعدها في العام 1990. كان هناك في اليمن مجتمع غني ومتنوع يضم مشائخ بارزين من كبل. على رأس هؤلاء سنان وأخواه الشيخ علي والشيخ محمد. كانت صنعاء مدينة تتوسع باستمرار وتفتتح ببطء على ثقافة الحياة.

من أبرز ما في اليمن الجديد انقراط التركيبة القبلية للمجتمع بحسناتها وسيئاتها كان الشيخ القبلي الحكم بين الناس والأآن لم يعد فيه من يمارس دور الحكم ولا وجود سوى للفراغ

كان واضحا منذ البداية، أقله بالنسبة إلي، أن الرئيس علي عبدالله صالح لم يكن يكنّ وذا آل أبو لحوم ولبيك بشكل عام، علما أن أحد مساعديه اصن على أنه بدأ عهده الرئاسي الطويل (1978 - 2012) بعلاقة وثيقة مع الشيخ سنان وذلك قبل أن يتوجه إلى التحالف مع الشيخ عبدالله الأحمر الذي قدمه لي الرئيس نفسه مرة بقوله "هذا شيخ". لعب إبراهيم الحمدي بين 1974 و1977، تاريخ اغتياله، دورا في ضرب



بغياب الشيخ سنان أبو لحوم، أبرز مشائخ كبل، كبرى القبائل اليمنية وأوسعها انتشارا، يغيب أحد آخر رموز التركيبة القبلية اليمنية التي ميّزت هذا البلد لسنوات طويلة. شيئا فشيئا، انتقل المجتمع اليمني، خصوصا في الشمال، من مجتمع تتحكم به القبيلة إلى مجتمع منقسم أيديولوجيا، كما عليه الحال الآن بين الإخوان المسلمين الذين استطاعوا السيطرة على حزب التجمع اليمني للإصلاح من جهة والحوثيين الذين تزداد سيطرة إيران عليهم، بما في ذلك مذهبيا، من جهة أخرى.

من أبرز التطورات التي شهدتها اليمن على الصعيد الداخلي منذ العام 1974، تاريخ تولي إبراهيم الحمدي الرئاسة، وصولا إلى عهد علي عبدالله صالح وما تلاه، يأتي تلاشي دور القبيلة تدريجا. جاء غياب الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، شيخ مشائخ حاشد في نهاية العام 2007 ليكرس تحوّل التجمع اليمني للإصلاح من حزب قبلي - إسلامي إلى تنظيم إخواني بحت. خرج الشيخ سنان، الذي توفى في القاهرة عن عمر تجاوز المئة عام، من السياسة اليمنية منذ فترة طويلة، لكنه ظل يمتلك حضورا مغنوبا بفضل شخصيته الاستثنائية من جهة وعائلته الكبيرة ذات الوجود القوي في المجتمع اليمني من جهة أخرى.

كان للعائلة حضورها داخل المؤسسة العسكرية كما ضمت عددا من المثقفين الذين تلقوا تعليمهم في مدارس وجامعات خارج اليمن وتخرجوا منها. كان أبناء أبو لحوم من أبناء العائلات اليمنية القليلة الذين درسوا في لبنان ومصر ودول أخرى مثل الولايات المتحدة. يعود الفضل في ذلك إلى حد كبير، إلى الذهن المفتوح الذي ميّز سنان مقارنة بغيره من كبار الرموز القبلية. بالمقاييس اليمنية، كان رجلا متحررا،

## ليس بمقدور الكاظمي النجاح ولا برهم صالح قادر على استعادة ثقة العراقيين

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهونيرئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبابة  
كرم نعمة  
منى المحروقيمدير النشر  
علي قاسمالمدير الفني  
سعيدة يعقوبيتصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.ukwww.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

قادة الميليشيات الشيعية على نسبة من كل عقود المقاولات التي توقع مع الحكومة العراقية.

وكتب وورث بعد أن ذكر أسماء قادة الميليشيات الفاسدة مثل كتائب حزب الله وعصائب أهل الحق، فهم ليسوا فقط عملاء لإيران بالوكالة، بل هم أيضا الوجه الجديد لحكم اللصوص البيروقراطي "إن من دعم يمكن هذه الميليشيات هي الطبقة السياسية العراقية الجديدة التي لا تسعى إلا إلى الثراء. لقد قامت هذه العصابات متعددة الطوائف لسنوات عديدة بممارسة الاحتيايل على كافة المستويات ومن ضمنها السيطرة المستمرة على نقاط التفقيش، والاحتيايل المصري، والتحايل على نظام الرواتب الحكومي".

صحيح أن الكاظمي لطالما استهجن الفساد علنا، لكنه يقبل بتعريفه المبهم وفق ما يراه له في العراق اليوم، لذلك يُرغم في الواقع على غض النظر عنه؛ إذا كان الكاظمي ليس من الصف الأول في صنع الرثاء السياسية بعد احتلال العراق، فالرئيس برهم صالح من كبار رعيها الأول والمنظرين لجدي تلك الرثاء، بوصفها حلا لصناعة مستقبل العراق؛ وبمجرد تحليل رسالتيه الأخيرتين في رأس السنة وذكرى تأسيس الجيش العراقي، كتشف بأنه يؤن العملية التي شارك في وضعها، في محاولة لتبرئة نفسه منها، وكان استعادة ثقة العراقيين بالمنطقة الخضراء تبدأ بمرتبته وهو يؤن العملية السياسية، عبر الحاجة إلى عقد سياسي جديد يؤسس لدولة ذات سيادة كاملة، نظرا إلى تصدع منظومة الحكم التي تأسست بعد 2003.

لن تبرئ هذه الرسالة العاطفية برهم صالح من دوره كأحد شركاء صناعة الإنهيار السياسي مثلما يكشف استقباله بعد ساعات من إدراج فالح الفياض رئيس هيئة الحشد الشعبي في قائمة العقوبات الأميركية للمصنفين بالإرهاب، أنه خارج مدونة العراقيين التواقين إلى استعادة بلادهم المخطوفة.

بالتهم على إحالة مسؤولين في وزارة الثقافة إلى التحقيق بتهم الفساد، بينما لا تستطيع الحكومة الاقتراب من شقيق أحد قادة الميليشيات الشيعية، بعد أن استغل نفوذ شقيقه للهيمنة على معظم مخصصات وزارة الثقافة في الحكومة السابقة، ولا يزال يسيطر على جزء منها في الحكومة الحالية.

لقد فتح الصحافي روبرت وورث قبل أشهر قليلة نافذة أمام الرأي العام العالمي تكشف عن العناوين الكبيرة في الفساد الجاثم على صدر العراق بتقرير مطول في صحيفة نيويورك تايمز شرح فيه تفاصيل استحواد



السياسيين يستحق لذة النجاح والم الفشل، لكن عن قدرته بوصفه رئيسا لحكومة منتجة في المنطقة الخضراء بعد عام 2003.

نشرنا الأسبوع الماضي في "العرب" تقريرا مفصلا عن تعهد الكاظمي بأن يكون 2021 "عام كشف الحقائق الكبرى الخاصة بالفساد". كما أنه أعد معتقلا خاصا في مطار بغداد، لاستكمال التحقيقات مع مسؤولين ألقى القبض عليهم لتورطهم في قضايا فساد. لكن في حقيقة الأمر، حديث حكومة الكاظمي عن محاربة الفساد يستفز العراقيين، لأن انشغال أجهزة الرقابة بملاحقة الموظفين غير الحزبيين أو المنتمين إلى أحزاب ضعيفة أو لا تشارك في السلطة، هو مجرد صراخ لا يؤول إلى أي نتائج مؤثرة. لا يتبرّد العراقيون

فوق أي اعتبار آخر؛ أن تكون وطنيا وسط بنية فاسدة وطائفية ستصبح موضع تهكم ومحاصرة وإهمال في أفضل الأحوال.

مع ذلك ما زلت أثق بنزاهة صديقي "الوزير" واتساقه مع قيمه، لكنه باي حال من الأحوال غير قادر على الدفاع عن فكرة كونه وزيرا في حكومة عراقية حقيقية، هي حكومة اقتراضية وفق التوقيت المفرط بالتفاؤل ولا تمتلك قرار الحكم الكامل. ولا علاقة لذلك مطلقا بالكلام السائد عن فكرة الديمقراطية في العراق الجديد، فذلك يضيف كوميديا للرثاء السياسية القائمة منذ سبعة عشر عاما.

لا توجد رومانسية في السياسة العراقية المعاصرة عندما يكون مثالها رجال الدين وآيات الله في الحوزات المعتمة في النجف وقم، لكن يمكن أن نتخيل الصدمة التي ستظهر على وجه ثوري السعيد أو محمد فاضل الجمالي أو أفراد من نخبة سياسيي النظام السابق لو نسئ لهم مجرد تخيل ما يحدث وما يصدر من خطاب سياسي يصدر من الغربان وهي تجعل للرماد أجنحة وتتجول في التاريخ؛ يمكن للكثير من العراقيين أن ينقوا بالكاظمي كنوع من الحل وسط الخيبات المستمرة، لكنه غير قادر على إعادة بناء دولة وجيش لا يُهان من قبل الميليشيات، كما أنه وبالادوات السياسية التي يمتلكها اليوم حتى وإن ترشح وفاز في الانتخابات القادمة ولفترة وزارية ثانية، لن يستطيع أن يعيد ثقة العراقيين بالمنطقة الخضراء باعتبارها ممثلا وطنيا لبلادهم.

لنتذكر أن الكاظمي كان جزءا من حكومة عادل عبدالمهدي بمنصبه مديرا للمخابرات، وهذا سبب بقر كاف بوصلنا إلى قناعة استحالة نجاحه. إلا إذا اعتبرنا أن عبدالمهدي نجح ولو بقر ضئيل في وضع حجر في تشييد دولة؛ دعونا نراقب فكرة الضجيج المستمر من الكاظمي نفسه عن تطويق الفساد، لن اتحدث عن صدق نياته لأنه مثل

كرم نعمة  
كاتب عراقي  
مقيم في لندن

أن تكون المقارنة السياسية بالبعود الماضية "تهمة" تصل إلى الإرهاب في العراق، فإن الوثوق بالمستقبل السياسي للبلاد نوع من الحماسة السياسية.

التفاؤل ليس منطقا سياسيا في العراق منذ عام 2003، لسبب بسيط يكمن في أن الأحزاب الدينية الحاكمة لا تقوى على بناء دولة، دعك من كونها لا تريد ذلك، حتى وإن تجرّدت من أيديولوجيتها وارتدى قاداتها رطبات العنق بوصفهم سياسيين وليسوا رجلا يعتمرون العمامة الطائفية.

العراق دولة طائفية بامتياز منذ عام 2003، مهما أوجدنا من ذرائع سياسية عن وجود رجال دولة يحكمون. ذلك ينطبق على رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي، وإن كانت كل الإشارات الصادرة منه توجي بأنه يعمل من أجل استعادة مفهوم الدولة الواقعة تحت وطأة الاابولة ممثلة بالميليشيات التي تنضوي تحت الحشد الشعبي والمرجعيات الدينية بسلطوتها الهائلة التي تشكل دولة عميقة داخل الدولة. الكاظمي سياسي نتج عن صعود أحزاب دينية وصلت إلى السلطة بعملية سياسية شرعت منذ البداية على مفهوم أميركي إيراني يكمن في أن الحرب تحلب الحرية. لذلك لا يمكن له أن يغادر تاريخه مهما كانت نياته صادقة. إنه ابن مخلص لمفهوم أثبت فشله منذ عام 2003 وما زال الفشل مستمرا ومتصاعدا.

لي صديق يتقلد منصبا وزاريا في حكومة الكاظمي وهو يعمل بجد وثقة وفق فكرة بناء الدولة، أعرفه جيدا، نزيبها ولا يمكن أن يكون فاسدا أو جزءا من جوقة التخلف الطائفي المستحوذة على القرار السياسي، مع ذلك ليس بمقدوره النجاح مثله مثل الكاظمي، لأنه جزء من شبكة سياسية بُنيت على كل شيء، إلا على القيم التي تجعل الوطنية

استقبال برهم صالح  
لفالح الفياض رئيس  
هيئة الحشد الشعبي  
بعد ساعات من إدراجه  
في قائمة العقوبات  
الأميركية للمصنفين  
بالإرهاب، يؤكد أنه خارج  
مدونة العراقيين التواقين  
إلى استعادة بلادهم  
المخطوفة